

لَا شَكَّ أَنَّ رِضَا اللَّهَ غَايَتُنَا الْعُلْيَا كَمَا مُؤْمِنِينَ. وَإِنْ رِضَاهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَعَلَّقُ بِمُسْتَوَى إِيْمَانِنَا وَعِبَادَاتِنَا وَأَخْلَافِنَا. وَبَيْنَ هَذِهِ الْعَوَامِلِ رِبْطٌ وَثِيقٌ. فَكَمَا يَدُلُّ الْخُشُوعُ فِي عِبَادَاتِنَا إِلَى عُمُقِ إِيْمَانِنَا فَكَذَلِكَ أَخْلَافُنَا مِرَاةُ إِيْمَانِنَا. فَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَخْلَاقَ قِسْمٌ مِنَ الْإِيْمَانِ.

وَقَدْ صَرَّحَ وَأَكَّدَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ بِأَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيْمَانِ.¹ وَالْحَيَاءُ خِصْلَةٌ تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنَ ارْتِكَابِ فِعْلٍ، خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا. وَأَصْلُ كَلِمَةِ الْحَيَاءِ مِنَ الْحَيَاةِ. وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خَلْقِ الْحَيَاءِ. فَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ عُلَمَاءُنَا أَنَّ قَلَّةَ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.² وَحَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».³

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

يَذَكِّرُنَا رَبُّنَا تَعَالَى وَاقِعَةً مِنَ حَيَاةِ النَّبِيِّ تَأْكِيدًا لِأَهْمِيَّةِ الْحَيَاءِ وَتَعْلِيمًا لِبَعْضِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ. وَتِلْكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْلَمَ فِي بَيْتِهِ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ زَيْنَبَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا). فَكَانَ بَعْضُ ضِيُوفِهِ يَسْتَعْرِفُونَ فِي حَدِيثِ بَيْتِهِمْ حَتَّى طَالَ الْمَجْلِسُ وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ ذَلِكَ.

انْزَعَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ سَكَتَ لِشِدَّةِ حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَكْسِرَ قُلُوبَ ضِيُوفِهِ. وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُشِيرَ إِلَى مَا فِي قَلْبِهِ بِتَرَدُّدِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا. وَعِنْدَمَا خَرَجَ ضِيُوفُهُ الثَّلَاثَةَ الْأَخِيرَةَ بَعْدَ مَجْلِسِهِمِ الطَّوِيلِ، فَصَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَضْجَعَهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ مِنْ إِيْنِهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي

مِنَ الْحَقِّ»⁴

فَجَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُقْتَدِينَ بِهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَدْخَلَنَا فِي زُمْرَةِ

أَحْبَاءِ الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ مِنْهُ. آمِينَ



¹ صحيح البخاري، رقم الحديث (٦١٠٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٣٢٠)

² صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٠٦٤)

³ النووي: رياض الصالحين، ٨٤، الحياء، ص ٢٣٠.

⁴ انظر صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٤).

² ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص ٤٩١.

³ صحيح البخاري، رقم الحديث (٦١٢٠).

⁴ سورة الأحزاب: ٥٣.